بسم الله الرحمن الرحيم

الاثنين 30/9/2013 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

سلسلة التفسير

سورة الكهف (24)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك.. وبعد:

فنحن في تفسير آيات من سورة الكهف.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا * فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا * فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا * قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا * قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا * فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا * قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا * قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا * قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: 60-77].

بدأنا في الدرسين الماضيين بشرح لهذه القصة فبدأنا بحديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه الإمام البخاري وفيه تفاصيل القصة كاملة.

ثم تناولنا بعض ما يستفاد من هذه القصة فكان مما أخذنا:

1- فضيلة زيارة الصالحين.

2- الرحلة في طلب العلم.

3- الحاجة إلى معين في طلبك للعلم.

4- طلب العلم متعب ويحتاج إلى صبر.

جاءني إلى العيادة شاب بريطاني يعمل مهندساً بالالكترونيات ويدرس في جامعات بريطانيا ليقول لي: علمت أنك تدرس مادة الحديث فهل من الممكن تقرئني بعض الكتب في الحديث؟ فقلت له: أفعل.. فأي الوقت يناسبك؟ قال: وقتي غير مهم فالوقت الذي يناسبك آتيك به حتى لو كان في الساعة الثالثة صباحاً، فما جئت من بريطانيا إلى الشام إلا لتعلم حديث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم!

فهل مثل هذا الإنسان يعامل عند الله كإنسان يعيش في مدينة دمشق ولم يحضر مرة مجلس علم، أو لم يدخل إلى أحد المساجد، وإذا سئل عن سبب عدم الحضور؟! تحجج بحجج واهية، كأن يقول: كلام الشيوخ تقليدي، أشعر أن الدروس نمطية، كل ما يقولوه أعلمه...

قال لي أحد أصدقائي من أئمة المساجد: شاهدت رجلاً يبكي على جنازة على باب المسجد، فسألته: ما يقربك الميت؟ فقال: هو عمي، فقلت: اصبر على موته ولا تجزع بالبكاء، فقال: أنا لا أبكي لموت عمي، ولكن أبكي؛ لأن عمي لم يدخل المسجد إلا هذه الساعة.

كلنا يتوجب علينا التقرب إلى الله تعالى وأول باب للتقرب إلى الله هو العلم.

وقد جاء عن الإمام الشافعي قوله: (**لو لم يكن العلماء أولياء فليس لله ولي، ما اتخذ الله وليا جاهلاً**) [مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري].

ألا تعجبون من فتاة ترتدي الحجاب مع الثياب الضيقة فإذا سألتها قالت: لقد سترت عورتي حتى كعبي قدمي.

وبالمقابل اطلعت على خبر عجيب يقول: إن امرأة في الصين جعلت معرضاً للباس النسائي الساتر وعلقت قائلة: أهم شيء في تصميماتي أن يكون الثوب فضفاضاً، مغطياً للبدن، لا يصف ما في داخله، وأن يكون أنيقاً.

يأتي تجارنا بالملابس الضيقة للرجال والنساء ويتحججون بأن السوق هو من يريد ذلك مع أن هذا الكلام غير صحيح فنساؤنا يذهبن إلى السوق لطلب الثياب المحتشمة فلا يجدْن.

كم من الناس من يأكل الحرام من سنوات بسبب جهلهم.

عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: «كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْتَظِرُونَ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ حَتَّى تَخْفِقَ رُءُوسُهُمْ، ثُمَّ يُصَلُّونَ وَلَا يَتَوَضَّئُونَ» [أبو داود].

5- طريقك إلى الله بحاجة إلى معلم:

كل الحِرَف والمهن والعلوم تحتاج إلى معلم؛ لأن المعلم يدلك على مزالق الطريق ويعلمك اجتنابها.

من الممكن لأحدنا إذا لم يكن عارفاً كيف يصل إلى منطقة المزة -مثلاً- أن يسير في إحدى الطرق ولكنه قد يضيع ولا يصل إلا بعد ساعات، أما لو كان معه دليل وهاد ومعلم لأرشده فوراً.

كان شيخنا عليه رحمة الله يقول: لا يوجد نجار أو حداد أو طبيب تعلم لوحده بل احتاج كل منهم إلى معلم، فهل يمكن للمسلم أن يكون مسلماً من غير معلم؟؟!

ولأجل هذا لَحِقَ سيدنا موسى بالمعلم ليعلمنا أنه لا يكفي تسجيل الدروس وسماعها محتجاً بأن الدين يسر وسهل، فالمسلمون ما زالوا يكررون ذلك حتى ضاع الدين بينهم.

6- ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ .

عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: (**الْعِلْمُ عِلْمَانِ: فَعِلْمٌ فِي الْقَلْبِ فَذَلِكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ، وَعِلْمٌ عَلَى اللِّسَانِ فَذَلِكَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى ابْنِ آدَمَ**) [الدارمي].

قال بعض الصالحين: **الْعِلْمُ عِلْمَانِ: مَطْبُوعٌ وَمَسْمُوعٌ وَلاَ يَنْفَعُ الْمَسْمُوعُ إِذَا لَمْ يَكُنِ الْمَطْبُوعُ.**

أي إذا لم يتحول العلم إلى عمل فلا فائدة فيه.

وقد وصف سيدنا عمر بأنه كان وقافاً عند حدود الله.

قَالَ قَتَادَةُ لِلْسَيِّدَةِ عَائِشَةَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: (**أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟**) **قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ:** (**فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ الْقُرْآنَ**) [مسلم].

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: 282]، فإذا انضبطت بأوامر الله فإن الله سيجري على لسانك وأقوالك كلاماً ينفع فيك الخلائق.

أكثروا من ذكر الله تعالى ما استطعتم، فإن الذكر يفجر لديك علوماً ما كنت تعرفها، ويعطيك إمداداً وعطاء من الله لا يخطر لك على بال ويمدك إمداداً فوق الوصف.

العلم المادي الذي نقرؤه جميل ومفيد وهو بابنا إلى الله عز وجل لكن ذكرك لله تعالى يفتح لك أبواباً مغلقة، ومن جملة ذكر الله عز وجل الإكثار من الصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

قال أهل التربية الروحية: الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، لها ثنتان وأربعون فائدة من تلك الفوائد: أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تقوم مقام الشيخ المربي في حال غيابه.

من فقد شيخه فليكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ومن كان له شيخ فليجعل ورداً من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فينتفع من الاثنين.

هناك رجل فاضل يعمل في صيانة أجهزة أطباء الأسنان، وهو ماهر وصالح وكثير الذكر وخصوصاً ذكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بلغ من العمر السبعين سنة ومن كثرة أوراده من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كان كثيراً ما يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام.

مرة كان يصلح كرسي عيادتي فقال لي: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وقال لي: (يا سليم.. ستكون معي في الجنة فجهز نفسك) فلما سمعت ذلك كدت أغمى من البكاء فقلت له: يا سيدي كيف أجهز نفسي؟ فقال لي: (يا بني إن استطعت أن تصبح وتمسي وليس في قلبك غش لأحد فافعل).

قال: فأصبحت ودموعي في وجهي، ومن ذلك اليوم لا أحمل في قلبي غشاً أو حقداً أو غلاً على أحد.

بعد ما يقارب الشهرين كنت أقرأ في كتاب جامع الترمذي -وهو أحد الأصول الستة لأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم- فقرأت هذا الحديث.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا بُنَيَّ، إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ لَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِأَحَدٍ فَافْعَلْ**» **ثُمَّ قَالَ لِي**: «**يَا بُنَيَّ وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي، وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الجَنَّةِ**» [الترمذي].

فلما قرأته اتصلت بهذا الأخ وقلت له أريد أن أقرأ هذا الحديث وقرأته عليه فصار يبكي ويقول: والله ما سمعت هذا الحديث إلا بالرؤيا التي قصصتها عليك.

هناك علم يعطيك الله إياه من انضباطك بشرع الله.

عَنِ الْحَارِثِ بْنِ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّهُ مَرَّ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ: «**كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثُ؟**» **قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا. فَقَالَ: «انْظُرْ مَا تَقُولُ؟ فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةً، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ؟» فَقَالَ: قَدْ عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا، وَأَسْهَرْتُ لِذَلِكَ لَيْلِي، وَاظْمَأَتْ نَهَارِي، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَضَاغَوْنَ فِيهَا. فَقَالَ: «يَا حَارِثُ عَرَفْتَ فَالْزَمْ» ثَلَاثًا** [الطبراني والبيهقي].

﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: 65].

يسمى هذا العلم عند أهل العلم (**العلم اللدني**) وهو العلم المنضبط بالشرع من الإكثار من ذكر الله تعالى، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، والمحافظة على الائتمار بأمر الله ونهيه، وعلى السالك أن يعرض ذلك على معلمه ليجتنب الزلل.

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

والحمد لله رب العالمين.